دفع التعارض بين الأحاديث الواردة في تفسير قول الله تعالى:

{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ }

إعداد
أحمد بن عبد العزيز القصيِّر
محاضر في كلية المعلمين في الرس
alqosaier@hotmail.com

١٤٢٧/٢/٢٣ هـ

إهداء إلى
مكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية
www.tafsir.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

بــين يديك أخي القارئ الكريم بحث في دفع التعارض بين الأحاديث الواردة في تفسير قول الله تعالى: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى } من سورة النجم، وقد ورد في تفسيرها حديثان:

الأول: وفيه نسبة الدنو والتدلي إلى الله تعالى.

الثاني: وفيه نسبة الدنو إلى جبريل عليه السلام.

وقد جعلت البحث في خمسة مباحث:

الأول: ذكر الآية الواردة في المسألة.

الثاني: ذكر الأحاديث الواردة في تفسير الآية.

الثالث: بيان وجه التعارض بين الأحاديث.

الرابع: مذاهب العلماء في تفسير الآية ودفع التعارض بين الأحاديث.

الخامس: الترجيح.

المبحث الأول: ذكر الآيات الواردة في المسألة:

قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:٥-١٠].

المبحث الثاني: ذكر الأحاديث الواردة في تفسير الآية، و التي يُوهِم ظاهرها التعارض فيما بينها:

عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ t يَقُولُ – لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ....– فَذَكَرَ حديثَ الإسراء بطوله، وفيه: «...ثُمَّ عَلَا بِهِ[1] فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى، حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ، كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ...».[2]

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: «كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ محمداً r رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ r فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ».[3]

---

(١) أي علا جبريل بالنبي r.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، حديث (٧٥١٧)، وأخرجه مختصراً: مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٦٢)، قال: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ – وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ – قَالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ t يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ، وَزَادَ وَنَقَصَ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٧)، وأخرجه بنحوه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، حديث (٤٨٥٥).

وفي رواية: قَالَ مَسْرُوق: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ قَوْلُه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾؟ قَالَتْ: إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ عليه السلام، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ، فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ».(١)

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاق الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قَالَ: «أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ t ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ».(٢)

المبحث الثالث: بيان وجه التعارض بين الأحاديث:

ظاهرُ حديثِ أنس t أنَّ النبي r لما أُسريَ به، دنا منه الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، وهذا الدنو يُفْهَمُ منه أنه هو المراد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، حديث (٣٢٣٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (٢٩٠) – (١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، حديث (٣٢٣٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٤).

وأخرجه مرفوعاً ابن جرير في تفسيره (١١/٥٠٨) قال: حدثنا ابن أبي الشوارب قال: ثنا عبد الواحد بن زياد قال: ثنا سليمان الشيباني قال: ثنا زر بن حبيش قال: قال عبد الله في هذه الآية âفَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰá قال: قال رسول الله r : «رأيت جبريل له ست مائة جناح».

وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٤٦)، من طريق أبي الشوارب، به.

إلا أن ابن أبي الشوارب لم يُتابع في رفعه، فقد أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، حديث (٤٨٥٦) قال: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بن زياد، حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ زِرًّا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ âفَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰá قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: «أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ».

وابن أبي الشوارب اسمه محمد بن عبد الملك، صدوق، روى له مسلم وغيره. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (٢/١٩٥).

وأمَّا حديثُ عائشةَ وابنِ مسعود - رضي الله عنهما - فظاهرهما يُوهِم مُعارضة حديث أنس؛ لأنهما نسبا الدنو والتدلي في الآية لجبريل عليه السلام، وهما وإنْ لم يُصَرِّحَا بِرَفْعِ ذلك للنبي r ؛ إلا أنَّ تفسيرهما هذا في حكم المرفوع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي.[١]

المبحث الرابع: مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض:

اختلف العلماء في تفسير الآية، وفي دفع التعارض بين الأحاديث على مذاهب:

الأول: أنَّ الدنو والتدلي في الآية المراد به دنو جبريل عليه السلام، من محمد r .

وهذا التفسير هو الثابت عن عائشة، وابن مسعود، رضي الله عنهما، وقد تقدم.

وروي عن الحسن البصري[٢]، وقتادة[٣]، والربيع بن أنس[٤].

وهو مذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين[٥]، وممن قال به:

ابن جرير الطبري، وأبو الليث السمرقندي، والخطابي، والبيهقي، والواحدي، والسمعاني، والقاضي عياض، وابن عطية، والفخر الرازي، وأبو عبد الله القرطبي، والبيضاوي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والحافظ ابن كثير، وابن أبي العز الحنفي، وابن جماعة، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي.[٦]

---

(١) انظر حكاية التعارض في الكتب التالية: صحيح ابن حبان (١/ ٢٥٦)، والفصول في اختصار سيرة الرسول، لابن كثير (١/ ٢٤٤)، وفتح الباري، لابن حجر (٧/ ٢٥٧) و (١٣/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥٠)، وابن جرير في تفسيره (١١/ ٥٠٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥٠)، وابن جرير في تفسيره (١١/ ٥٠٧).

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٥٠٧)، وابن أبي شيبة في العظمة (٢/ ٧٩٣).

(٥) حكاه مذهب الجمهور: البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٥٤)، والقاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٣٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٧).

(٦) انظر على الترتيب: تفسير الطبري (١١/ ٥٠٦)، وتفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ٢٨٩)، وأعلام الحديث، للخطابي (٣/ ١٩١٦)، ودلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٣٨٥)، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٤/ ١٩٣)، وتفسير السمعاني (٥/ ٢٨٥-٢٨٦)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ١٣٠)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ١٩٧)، ومفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ٢٤٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٦٠)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٢٥٣)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١/ ٢٣٤

وقد ذكر الإمام ابن القيم عدة أدلة تؤيد هذا المذهب:

«الأول: أنَّ الله تعالى قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٥]، وهذا جبريل الذي وصفه الله بالقوة في سورة التكوير فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢٠].

الثاني: أنه تعالى قال: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي حسن الخلق، وهو الكريم المذكور في سورة التكوير.

الثالث: أنه قال: ﴿فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ وهو ناحية السماء العليا، وهذا استواء جبريل بالأفق الأعلى، وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه.

الرابع: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم:١٣-١٤]، والمرئي عند السدرة هو جبريل قطعاً، وبهذا فسره النبي r ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله r عن هذه الآية فقال: «جبريل، لم أرَهُ في صورته التي خُلِقَ عليها إلا مرتين».[(١)]

الخامس: أنَّ مُفَسِّرَ الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾، وفي قوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾، وفي قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ واحد، فلا يجوز أنْ يُخالف بين المُفَسِّر والمُفَسَّر من غير دليل.

السادس: أنه سبحانه ذكر في هذه السورة الرسولين الكريمين، الملكي والبشري، ونزَّه البشري عن الضلال والغواية، ونزَّه الملكي عن أنْ يكون شيطاناً قبيحاً ضعيفاً؛ بل هو قوي كريم حسن الخلق، وهذا نظير الوصف المذكور في سورة التكوير سواء.

السابع: أنَّه أخبر هناك أنه رآه بالأفق المبين، وهاهنا أخبر أنه رآه بالأفق الأعلى، وهو واحدٌ وُصِفَ بصِفَتين، فهو مُبين، وهو أعلى؛ فإنَّ الشيء كلما علا: بَانَ وظَهَر.

8

)، ومدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٣٠٠)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥) و (٤/ ٢٦٦-٢٦٧)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٧٦)، وإيضاح الدليل، لابن جماعة (١/ ١٤٤)، وفتح القدير، للشوكاني (٥/ ١٥٠)، وروح المعاني، للآلوسي (٢٧/ ٦٩)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٦٣)، وأضواء البيان، للشنقيطي (٣/ ٤٠١).

(١) تقدم تخريجه في أول المسألة.

الثامن: أنَّه قال: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ والمرة الخلق الحسن المحكم، فأخبر عن حُسْنِ خُلُقِ الذي عَلَّمَ النبي r، ثم ساق الخبر كله عنه نسقاً واحداً.

التاسع: أنَّه لو كان خبراً عن الرب تعالى لكان القرآن قد دَلَّ على أنَّ رسول الله r رأى ربه سبحانه مرتين، مرَّة بالأفق، ومرَّة عند السدرة، ومعلوم أنَّ الأمر لو كان كذلك لم يَقُلْ النبي r لأبي ذر وقد سأله هل رأيت ربك؟ فقال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[1]، فكيف يُخبر القرآن أنه رآه مرتين ثم يقول رسول الله r أنى أراه؟ وهذا أبلغ من قوله: لم أره؛ لأنه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط، وهذا يَتضمن النفي وطرفاً من الإنكار على السائل، كما إذا قال لرجل: هل كان كيت وكيت؟ فيقول: كيف يكون ذلك؟

العاشر: أنَّه لم يَتَقدَّم للرب جل جلاله ذِكرٌ يعود الضمير عليه في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، والذي يعود الضمير عليه لا يَصْلُحُ له، وإنما هو لعبده.

الحادي عشر: أنَّه كيف يعود الضمير إلى ما لم يُذكر، ويُترك عُودُه إلى المذكور مع كونه أولى به.

الثاني عشر: أنَّه قد تقدم ذِكْرُ «صاحبكم»، وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، ثم ذكر بعده شديد القوى، ذا المرة، وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، والخبر كله عن هذين المُفَسَّرين، وهما الرسول الملكي، والرسول البشري.

الثالث عشر: أنَّه سبحانه أخبر أنَّ هذا الذي دنا فتدلى كان بالأفق الأعلى، وهو أفق السماء، بل هو تحتها قد دنا من رسول رب العالمين، ودنو الرب تعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان من فوق العرش، لا إلى الأرض.

الرابع عشر: أنهم لم يُمارُوه صلوات الله وسلامه عليه على رؤية ربه، ولا أخبرهم بها لتقع مماراتهم له عليها، وإنما ماروه على رؤية ما أخبرهم من الآيات التي أراه الله إياها، ولو أخبرهم الرب تعالى لكانت مماراتهم له عليها أعظم من مماراتهم على رؤية المخلوقات.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٨).

الخامس عشر: أنَّه سبحانه قرَّر صحة ما رآه الرسول r ، وأنَّ مماراتهم له على ذلك باطلة بقوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، فلو كان المرئي هو الرب سبحانه وتعالى، والمماراة على ذلك منهم، لكان تقرير تلك الرؤية أولى، والمقام إليها أحوج».[(١)]

وقد اختلف أصحاب هذا المذهب في الجواب عن حديث أنس t ، والذي يُفْهَمُ من لفظه أنه هو المراد في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وقد ذكروا عدة أجوبة منها:

الأول: أنَّ قوله في حديث أنس: «وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى»، زيادة شاذة؛ إذ لم تُرْوَ عن أنس t إلا من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر[(٢)]، وهي مما تَفَرَّدَ به في روايته لحديث الإسراء.[(٣)]

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٣٠٠-٣٠٢).

(٢) هو: شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي، وقيل: الليثي، أبو عبد الله المدني، روى له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي في الشمائل، والنسائي، وابن ماجة. قال ابن معين، والنسائي: ليس به بأس. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. وقال ابن عدي: إذا روى عنه ثقة فلا بأس برواياته. وقال الآجري، عن أبي داود: ثقة. وقال النسائي أيضاً: ليس بالقوي. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما أخطأ. وقال ابن الجارود: ليس به بأس، وليس بالقوي، وكان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٤/ ٢٩٦).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٩٣-٤٩٤) أن مجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين، اثنا عشر شيئاً:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السماوات، وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة.

الثالث: كونه مناماً.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى، وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه الا الله، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة.

الخامس: مخالفته في النهرين، وهما النيل والفرات، وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة، وأنهما من تحت سدرة المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء.

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة.

وهـذا جـواب: الخطابـي[١]، وابن حزم[٢]، والبيهقي[٣]، وعبد الحق الإشبيلي[٤]، وابن جماعة[٥]، وابن رجب[٦].

قـال الخطابـي: «إنَّ الـذي وقـع في هـذه الرواية - من نسبة التدلي للجبار عز وجل - مُخَالِـفٌ لعامـة الـسلف، والعلمـاء، وأهل التفسير، من تقدم منهم ومن تأخر...، قال: وقـد رُوي هـذا الحـديث عـن أنـس مـن غـير طريق شريك فلم يُذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة، وذلك مما يقوي الظن أنها صادرة من جهة شريك».اهـ[٧]

وقال ابن حزم: «لم نجد للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديثين». ثـم ذكـر حـديث أنـس فقال: «وفيه ألفاظٌ مُعْجَمة، والآفة من شريك، من ذلك قولـه: «قـبل أن يُوحى إليه»[٨]، وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة، قال: وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم إنما كان قبل الهجرة بسنة، وبعد أن أوحي إليه بنحو اثنتي عشرة سنة، ثم قـولـه: «إن الجـبار دنـا فـتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»، وعائشة رضي الله

8

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل، والمشهور في الحديث أنه جبريل.

التاسـع: تـصريحه بـأن امتـناعه صـلى الله علـيه وسـلم مـن الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

العاشر: قولـه: «فعلا به الجبار وهو مكانه».

الحـادي عـشر: رجـوعه بعـد الخمـس، والمـشهور في الأحاديـث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع.

الثاني عشر: زيادة ذكر التور في الطست.

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٣٥٩)، وفتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٩٣).

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٣٨٥)، والأسماء والصفات (٢/ ٣٥٧).

(٤) الجمع بين الصحيحين (***)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٣).

(٥) إيضاح الدليل، لابن جماعة (١/ ١٤٥).

(٦) فتح الباري، لابن رجب (***).

(٧) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

(٨) تقدم في أول المسألة تخريج حديث شريك، وذكرته هناك مختصراً، وهذه اللفظة منه.

عنها تقول: إن الذي دنا فتدلى جبريل».اهـ[١]

وقال البيهقي: «ليس في رواية ثابت عن أنس لفظ الدنو والتدلي، ولا لفظ المكان، وروى حديث المعراج: ابن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك t ، عن أبي ذر، وقتادة، عن مالك بن صعصعة، ليس في حديث واحد منهما شيء من ذلك».[٢]

قال: «وفي حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه r رأى الله عز وجل، وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته r جبريل أصح».اهـ[٣]

وقال عبد الحق الإشبيلي[٤] - في الجمع بين الصحيحين -: «زاد فيه - يعني شريكاً - زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى الإسراء جماعة من الحفاظ فلم يأتِ أحدٌ منهم بما أتى به شريك، وشريكٌ ليس بالحافظ».اهـ[٥]

وقال ابن جماعة[٦]: «وأما حديث شريك بن أبي نمر الطويل؛ فقد خَلَّطَ فيه، وزاد زيادات لم يروها غيره ممن هو أحفظ منه، وليس في رواية ثابت، ولا قتادة عن أنس

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٣٩).

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٣٥٧).

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٣٨٥).

(٤) هو: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد، الأزدي، الأندلسي، الإشبيلي، المعروف في زمانه بابن الخَرَّاط، كان فقيهاً، حافظاً، عالماً بالحديث وعلله، عارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع، ولزوم السنة، والتقلل من الدنيا، مشاركاً في الأدب، وقول الشعر، قد صنف في الأحكام نسختين: كبرى وصغرى، وعمل الجمع بين الصحيحين، بلا إسناد، على ترتيب مسلم وأتقنه وجوده، توفي ببجاية بعد محنة نالته من قبل الدولة سنة (٥٨١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢١/ ١٩٨).

(٥) الجمع بين الصحيحن (***)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٣٩).

(٦) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الكناني، الحموي، الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله: من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، له تصانيف، منها: «كشف المعاني في المتشابه من المثاني» و «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم»، وغيرها، توفي في مصر سنة (٧٣٣هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٢٩٧).

لفـظ الدنـو، ولا التدلـي، ولا المكـان، ولا في رواية الزهري، عن أنس وأبي ذر، وذَكَرَ شـريكٌ في حديثه ما يدل على أنه لم يحفظ الحديث على ما ينبغي؛ فإنه خلَّط في مقامات الأنبياء، وقال في آخر حديثه: «فاستيقظ وهو في المسجد الحرام»، والمعراج إنما كان رؤية عين».اهـ[١]

وقـد سـبق إلى التنبيه على ما في رواية شريك من المخالفة مسلم في صحيحه فإنه قال - بعد أنْ ساق سند الحديث وبعض المتن -: «وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ، وَزَادَ وَنَقَصَ».اهـ[٢] إلا أنَّ الحـافظ أبا الفضل ابن طاهر[٣] لم يرتضِ دعوى تَفَرُّدِ شريكٍ بهذه الزيادة، حيث قـال: «تعليل الحديث بتفرد شريك، ودعوى ابن حزم أنَّ الآفة منه، شيء لم يُسبق إليه؛ فـإنَّ شـريكاً قَـبِلَهُ أئمـة الجـرح والـتعديل، ووثقـوه، ورووا عـنه، وأدخلـوا حديثه في تـصانيفهم، واحـتجوا به، وروى عبد الله بن أحمد الدورقي، وعثمان الدارمي، وعباس الـدوري، عـن يحيـى بـن معـين أنه قال: لا بأس به. وقال ابن عدي: مشهور من أهل المديـنة، حـدث عـنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به؛ إلا أن يروي عنه ضعيف[٤].

قـال ابـن طاهـر: وحديـثه هذا رواه عنه ثقة، وهو سليمان بن بلال. قال: وعلى تقدير تـسليم تفرده برواية «قبل أن يوحى إليه»؛ فإنَّ ذلك لا يقتضي طرح حديثه، فوهم الثقة في موضـع مـن الحـديث لا يُـسقط جمـيع الحديث، ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكـاب محـذور، ولـو تُـرِك حـديث مـن وَهِمَ في تاريخ، لتُرِكَ حديثُ جماعة من أئمة

---

(١) إيضاح الدليل، لابن جماعة (١/ ١٤٥).

(٢) تقدم توثيقه عند تخريج حديث أنس في أول المسألة.

(٣) هـو: محمـد بـن طاهـر بن علي بن أحمد، أبو الفضل ابن أبي الحسين بن القيسراني، المقدسي، الأثري، الظاهري، الصوفي، كان ثقة، صدوقاً، حافظاً، عالماً بالصحيح والسقيم، حسن المعرفة بالرجال والمتون، كـثير التـصانيف، لازمـاً للأثر، بعيداً من الفضول والتعصب، كثير الحج والعمرة، مات ببغداد منصرفاً من الحج سنة (٥٠٧ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٩/ ٣٦١).

(٤) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٤/ ٥).

المسلمين».اهـ[1]

وكـذا الحـافظ ابـن حجر، فإنه يميل إلى تقوية شريك، ويدفع دعوى تفرده بهذه الزيادة؛ فإنـه قـال بعـد أن أورد إنكار الأئمة المتقدمين: «وفي دعوى التفرد نظر؛ فقد وافقه كثير بـن خنـيس - بمعجمـة ونون مصغر - عن أنس، كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في «كتاب المغازي»[2] من طريقه».اهـ[1]

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٣).

(٢) لم أقـف علـيه مـن روايـة سـعيد بن يحيى الأموي، وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٥٠٩) قال: حدثـنا خـلاد بـن أسـلم قـال: أخبرنا النضر، أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، عن كثير، عن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله r : « لما عرج بي مضى جبريل حتى جاء الجنة، قال: فـدخلت، فأعطيت الكوثر، ثم مضى حتى جاء السدرة المنتهى، فدنا ربك فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى».

وأخـرجه ابـن خـزيمة في كـتاب التوحـيد (٢/ ٥٣٠)، حـديث (٣١٧)، قـال: ثنا أبو عمار الحسين بن حـريث، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، قال: ثنا كثير بن حبيش، عن أنس بن مالك، قـال: قـال رسـول الله r : «بينما أنا مضطجع في المسجد....»، ثم ذكر حديثاً طويلاً في قصة الإسراء، وفـيه: «ثم عرج بي حتى جاء سدرة المنتهى، فدنا إلى ربه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ففرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة».

وكثير: اختلف في اسم أبيه فقيل: خنيس، بالخاء والسين، وقيل: حبيش، بالحاء والشين، وقد ترجم لـه الـبخاري في «الـتاريخ الكبير» (٢/ ٢٠٩) وذكره باسم: كثير بن حبيش، ثم ذكر بعده كثير بن خنيس، وذكـر ابـن حبان في «الثقات» (٧/ ٣٤٩) - تبعاً للبخاري – ترجمتين: بالخاء المعجمة، ثم بالحاء المهملة والشين المعجمة، فقال - في الذي أوله معجمة -: «روى عن أنس»، وفي الذي أوله مهملة: «روى عن عمرة». وأما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٥٠) فلم يضبط أباه، وقال: «سمعت أبى يقول: همـا واحد». ورجح ابن ماكولا أن أباه «حبيش» بالحاء المهملة، ثم الموحدة، ثم المعجمة، مع التصغير، وأمـا أقوال النقاد فيه: فقد ضعفه الأزدي، ووثقه ابن حبان، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: هـو مـديني مـستقيم الحـديث، لا بـأس بحديـثه. انظـر: لسان الميزان، لابن حجر (٤/ ٤٨١)، وتعجيل المنفعة، لـه (١/ ٣٤٧).

وهـناك مـتابعة أخـرى لـشريك، أخـرجها ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (١/ ٤٢٠-٤٢١)، قال: حدثـنا ابن حميد قال: حدثنا هارون بن المغيرة، وحكام بن سلم، عن عنبسة، عن أبى هاشم الواسطى، عـن مـيمون بـن سياه، عن أنس بن مالك قال: «لما كان حين نبئ النبي r ....» ثم ذكر حديثاً طويلاً،

8

وفيه: «ثم خرج إلى سدرة المنتهى، وهى سدرة نبق، أعظمها أمثال الجرار، وأصغرها أمثال البيض، فدنا ربـك، فكـان قاب قوسين أو أدنى، فجعل يتغشى السدرة من دنو ربها أمثال الدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ....».

وقد أورد هذه المتابعة الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٩١-٤٩٢) وسكت عنها.

وميمون بـن سـياه: روى لـه الـبخاري في صـحيحه، والنـسائي، وقد اختلف النقاد في توثيقه، فقال: الدوري، عن يحيى بن معين: ضعيف. وقال أبو حاتم: ثقة. وقال أبو داود: ليس بذاك. وذكره ابن حبان في الـثقات وقال: يخطئ ويخالف. ثم أعاد ذكره في الضعفاء فقال: ينفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يحتج بـه إذا انفـرد. وقـال يعقـوب بن سفيان: ضعيف. وقال حمزة، عن الدار قطني: يحتج به. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (١٠/ ٣٤٧).

قلت: الأقرب في حاله أنه صدوق يخطئ، كما وصفه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٢٩٦).

وثمة متابعة أخرى رواها البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٢-٣٨٣)، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثـنا أبـو الحسن علي بن محمد بن سختويه، قال: حدثنا أبو مسلم، ومحمد بن يحيى بن المنذر، قالا: حدثـنا حجاج بن منهال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله r قـال: «أتـيت بالـبراق....»، ثـم ذكـر حـديث الإسراء بطولـه، وفيه: «ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهـى، فـإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت فمـا أحـد مـن خلـق الله عـز وجـل يستطيع أن ينعتها من حسنها، قال: فدنا فتدلى فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض علي في كل يوم خمسون صلاة....».

هكـذا رواه بـزيادة: «فـدنا فتدلى فأوحى إلى عبده ما أوحى»، وهذه الزيادة شاذة ومنكرة، لم يُتابع عليها حجـاج بـن منهال - إن كانت منه - وقد روى الحديث عن حماد بن سلمة: شيبانُ بن فروخ، والحسنُ بـن موسـى، ولم يذكـرا هـذه الـزيادة، رواه عـن شـيبان بن فروخ: الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٦٢)، ورواه عن الحسن: الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٤٨).

وقـد أعل هذه الرواية البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٨٥) فإنه قال - بعد روايته للحديث -: «ورواه مسلم في الـصحيح، عـن شـيبان بن فروخ، عن حماد بن سلمة؛ إلا أنه لم يذكر قولـه: «فدنا فتدلى» وإنما قال: فأوحـى إلى عـبده مـا أوحـى. فيحتمل أن تكون زيادة في الحديث غير محفوظة؛ فإن كانت محفوظة كما رواه حجـاج بـن مـنهال، وكمـا رواه شـريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس بن مالك، فيحتمل أن يكـون جـبريل علـيه الـسلام فعل ذلك بالنبي r حين رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، كما فعله في المرة الأولى».اهـ

النتـيجة: الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنَّ هاتين المتابعتين لا يتقوى بهما حديث شريك؛ وذلك لاخـتلاف الـنقاد في توثيقهما، ولمخالفتهما للجم الغفير من الرواة عن أنس، وسيأتي مزيد بيان لذلك

7 -تابع- 7

قـال: «والأولى التـزام ورود المواضـع الـتي خالـف فيها غيره، والجواب عنها؛ إما بدفع تفرده، وإما بتأويله على وفاق الجماعة».اهـ[٢]

الجواب الثاني: أنَّ الحديث موقوف على أنس t .

ذكر هذا الجواب: الخطابي[٣]، والبيهقي[٤]، وابن جماعة[٥].

قـال الخطابـي مـشيراً إلى رفـع الحديث من أصله: «ثم إنَّ القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه، لم يَعْزُهَا إلى النبي r ، ولا نقلها عنه، ولا أضافها إلى قولـه، فحاصـل الأمـر في النقل أنها من جهة الراوي، إما من أنس، وإما من شريك؛ فإنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يُتابعه عليها سائر الرواة».اهـ[٦]

وقـال ابن جماعة: «ثم الحكاية كلها موقوفة على أنس من تلقاء نفسه، لم يرفعها إلى النبي r ، ولا رواهـا عـنه، ولا عزاها إلى قولـه، وقد روت عائشة، وابن مسعود، وأبو هريرة مـرفوعاً[٧]: أنَّ المـراد بالآيـة المذكـورة جبريل، وهم أحفظ وأكثر، فكيف يُترك لحديث شريك، وفيه ما فيه».اهـ[٨]

إلا أنَّ الحـافظ ابن حجر لم يرتضِ دعوى وقف الحديث على أنس t ، حيث قال – في رده على الخطابي -: «وما نفاه – من أنَّ أنساً لم يُسند هذه القصة إلى النبي r - لا تأثير لــه؛ فأدنـى أمـره فيها أنْ يكون مرسل صحابي، فإما أنْ يكون تلقاها عن النبي r ، أو

8

في مبحث الترجيح، إن شاء الله تعالى.

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٨٨).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٣).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

(٤) الأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٣٥٧).

(٥) إيضاح الدليل، لابن جماعة (١/ ١٤٥).

(٦) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٣).

(٧) عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ في قـولـه تعـالى: âوَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰá قَـالَ: «رَأَى جِبْـرِيلَ». أخـرجه مـسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٥). ولم أقف عليه مرفوعاً من حديث أبي هريرة t .

(٨) إيضاح الدليل، لابن جماعة (١/ ١٤٥)، وانظر: الأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٣٥٧).

عـن صـحابي تلقاهـا عـنه، ومـثل مـا اشـتملت عليه لا يُقال بالرأي، فيكون لها حكم الـرفع، ولو كان لِمَا ذَكَرَهُ تأثير لم يُحمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلاً، وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة، فالتعليل بذلك مردود».اهـ[١]

الجواب الثالث: أنَّ الدنو والتدلي المذكور في الآية هو غير الدنو والتدلي المذكور في حـديث أنس t ، فإنَّ الذي في الآية هو دنو جبريل عليه السلام وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود، رضي الله عنهما، وأما الدنو والتدلي الذي في حديث أنس فذلك صريح في أنَّه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه، ولا تَعَرّضَ في سورة النجم لذلك؛ بل فيها أنه رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، وهذا هو جبريل، رآه محمد r على صورته مرتين: مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى.[٢]

ذكـر هـذا الجـواب: ابـن القـيم[٣]، والحـافظ ابـن كـثير[٤]، وابـن أبي العز الحنفي[٥]، والقاسمي[٦].

والظاهـر مـن كـلام هـؤلاء الأئمة قبول رواية شريك، إلا أنَّ الحافظ ابن كثير يميل إلى تفـرد شـريك بن عبد الله بهذه الرواية، حيث ذكر أنَّ شريكاً قد اضطرب في رواية هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه.[٧]

وثمة أجوبة أخرى عن حديث شريك؛ إلا أنَّ هذه الأجوبة صادرة عن استشكال ظاهر الحديث، والذي فيه نسبة الدنو والتدلي إلى الله تعالى، ومن هذه الأجوبة:

١- أنَّ الدنو والتدلي في الحديث المراد به قرب الكرامة، لا قرب المكان.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٣).

(٢) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (٣/ ٣٨).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٣٨)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٠٠-٣٠١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧)، والبداية والنهاية (٣/ ١١٠).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٧٦).

(٦) محاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٦٧).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤) و (٤/ ٢٦٧)، والبداية والنهاية (٣/ ١١٠).

ذكر هذا الجواب: ابن فورك، والقاضي عياض، والعيني.[(١)]

قال القاضي عياض: «اعلم أنَّ ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله، أو إلى الله، فليس بدنو مكان، ولا قرب مدى، وإنما هو دنو النبي r من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس، وبسط وإكرام».اهـ[(٢)]

٢- أنَّ ما جاء في حديث شريك هي رؤيا رآها رسول الله r في نومه، ولا إشكال فيما يراه r في منامه.

ذكر هذا الجواب: الخطابي[(٣)]، والسهيلي.[(٤)]

قال الخطابي: «ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديثٌ أشنعَ ظاهراً، ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل؛ فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل، فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعاً عن غيره، ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه، وكان قصاراه: إما رَدَّ الحديث من أصله، أو الوقوع في التشبيه، وهما خطتان مرغوب عنهما، وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الإشكال؛ فإنه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا؛ لقوله في أوله: «وهو نائم» وفي آخره: «استيقظ»، وبعض الرؤيا مثلٌ يُضرب ليُتأول على الوجه الذي يجب أنْ يُصرف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك، بل يأتي كالمشاهدة».اهـ[(٥)]

---

(١) انظر على الترتيب: مشكل الحديث، لابن فورك (١/ ١٥٦)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ١٥٦)، وعمدة القاري، للعيني (٢٥/ ١٧٢).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ١٣١)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٢٨).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

(٤) الروض الأنف، للسهيلي (٢/ ٢٠٢).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

المذهب الثاني: أنَّ الدنو والتدلي في الآية المراد به دنو الله تعالى من نبيه محمد r .

وقد رُوي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري y، ما يدل على هذا المعنى:

فعن أبي سلمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ - قال: «دنا ربه منه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. قال: قد رآه النبي r ».[1]

وعن أبي سعيد الخدري t ، قال: «لما أسري بالنبي r اقترب منه ربه، فكان قاب قوسين أو أدنى».[2]

وروى ابن خزيمة، عن عباد بن منصور قال: «سألت الحسن، فقلت: ثم دنا فتدلى، من ذا يا أبا سعيد؟ قال: ربي».[3]

ونسب ابن الجوزي هذا القول لمقاتل.[4]

وقد مال إلى هذا التفسير الإمام ابن خزيمة؛ فإنه قال: «فأما قوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ففي خبر شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس بن مالك، بيان ووضوح أنَّ معنى قوله: (دنا فتدلى) إنما دنا الجبار رب العزة، لا جبريل».اهـ[5]

ثم أورد حديث أنس من طريق شريك بن عبد الله، وأتبعه بتفسير الحسن البصري للآية، ثم قال: «وفي خبر كثير بن حبيش، عن أنس: أنَّ النبي r قال مثل هذه اللفظة التي في خبر شريك بن عبد الله».اهـ[6]

ثم روى بإسناده حديث كثير بن حبيش، عن أنس t ، ولفظه: «فدنا إلى ربه فتدلى،

---

(١) سيأتي تخريجه والكلام عليه في مبحث الترجيح.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٨)، وعزاه لابن المنذر، وابن مردويه.

(٣) كتاب التوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٥٢٩)، حديث (٣١٦).

(٤) زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ٢٧٥).

(٥) كتاب التوحيد (٢/ ٥٢١).

(٦) كتاب التوحيد (٢/ ٥٢٩).

فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى». [١]

وكما ترى فإنَّ لفظ كثير بن حبيش مُغاير للفظ شريك؛ إذ في لفظ «شريك» نسبة الدنو إلى الله تعالى، وأما لفظ «كثير بن حبيش» ففيه: أن محمداً r هو الذي دنا إلى ربه عز وجل.

لكن روى الحديث ابنُ جرير في تفسيره، عن كثير بن حبيش، بلفظ موافق لرواية شريك، ولفظ الحديث كاملاً: عن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله r : «لما عُرِجَ بي مضى جبريل حتى جاء الجنة، قال: فدخلتُ فأُعطيت الكوثر، ثم مضى حتى جاء السدرة المنتهى، فدنا ربُّك فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى». [٢]

المذهب الثالث: أنَّ الدنو والتدلي في الآية المراد به دنو جبريل عليه السلام من الله تعالى.

رُوي هذا القول عن مجاهد[٣]، وبه قال ابن حبان[٤].

المذهب الرابع: أنَّ المراد بالآية دنو الله تعالى من جبريل عليه السلام.

رُوي هذا القول عن مجاهد[٥].

المذهب الخامس: أنَّ المراد بالآية دنو محمد r من ربه تعالى.

جاء هذا التفسير عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: «هو محمد r دنا فتدلى إلى ربه عز وجل». [٦]

ورُوي هذا التفسير عن الضحاك[٧]، ومحمد بن كعب[٨].

---

(١) كتاب التوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٥٣٠)، وقد تقدم الكلام عليه.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٥٠٩)، وقد تقدم الكلام عليه.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٤٦)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ٢٧٥).

(٤) صحيح ابن حبان (١/ ٢٥٦ ، ٢٥٩).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٥٠٩).

(٦) سيأتي تخريجه في مبحث الترجيح.

(٧) تفسير البغوي (٤/ ٢٤٦).

(٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ١٣١).

المبحث الخامس: الترجيح:

الـذي يَظْهُـرُ صَـوَابُه - والله تعـالى أعلـم - هو ما ذهب إليه عامة المفسرين من تفسير الآيـة بدنـو جـبريل عليه السلام من نبينا محمد r ، وأنَّ ما رُوي في حديث أنس t - مـن نـسبة الدنو والتدلي إلى الله تعالى - هو مما تفرد به شريك، وهو لا يعدو أنْ يكون وهماً منه، أو رأياً تأوله في تفسير الآية، ولم يسمعه من أنس t .

يدل على هذا الاختيار:

١- أنَّ هـذا التفـسير هـو الـثابت عـن عائشة، وابن مسعود، رضي الله عنهما[١]، ولا يُعـرف لهما مخالف من الصحابة[٢]؛ إلا ما روي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وسيأتي الجواب عنه.

٢- أنـه قـد ثـبت عـن عائـشة[٣]، وابن مسعود[٤]، رضي الله عنهما، أنَّ النبي r فَسَّرَ قولـه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ * عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنۡتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٤]، بأنَّ المراد رؤية النبي r لجبريل عليه السلام. ومرجع الضمير في قولـه: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ وقـولـه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ واحـد، فـلا يجوز أنْ يُخَالَفَ بينهما إلا بدليل.

٣- إجمـاع الـصحابة y على أنَّ النبي r لم يرى ربه ليلة الإسراء[٥]، وفي إجماعهم هذا دلـيلٌ علـى أنَّ الآيـة لا يَـصِحُّ تفـسيرها بدنو الله تعالى من نبيه r ؛ إذ لو كان الله تعالى قد دنا منه لرآه r ، ولأخبر بذلك، كيف وقد نفى ذلك بنفسه r ، فإنَّه حينما

---

(١) تقدم تخريجه عنهما في أول المسألة.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤١٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٧٢)، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٩): «هذا إسناد جيد قوي».

(٥) حكـى الإجمـاعَ الدارميُّ، وقد نقله عنه: شيخُ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٦/ ٥٠٧)، وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٣٧).

سأله أبو ذر: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[(١)].

٤- ومما يؤكد وقوع الغلط في رواية شريك: أنَّ الحديث رواه جمع غفير من الصحابة y عن النبي r [(٢)]، ولم يذكروا هذا اللفظ، ورواه جمع غفير من التابعين عن أنس t [(٣)]، ولم يذكروا هذا اللفظ أيضاً.

وأمَّا المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير الآية؛ فجوابه: أنَّ الروايات عنه على نوعين:

النوع الأول: صريح غير صحيح، وهو ما ورد عنه من تفسير الآية بدنو محمد r من ربه تعالى[(٤)]، وهذه الرواية لا تصح عنه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٨).

(٢) ومن هؤلاء الصحابة: أبو هريرة، وبريدة بن الحصيب، وجابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وشداد بن أوس، وصهيب الرومي، وعبد الرحمن بن قرط، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، ومالك بن صعصعة، وأبو أيوب الأنصاري، رضي الله عنهم جميعاً.

وقد أورد مجموع هذه الأحاديث بطرقها وألفاظها: الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣-٢٤)، والألباني في «الإسراء والمعراج».

(٣) ومن هؤلاء الرواة: الزهري، وقتادة، وثابت البناني، وعبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وأبو عمران الجوني، ويزيد بن أبي مالك، وحميد، وسليمان التيمي، وراشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جبير، وعلي بن زيد بن جدعان، وثمامة، وكثير بن سليم، وسليمان بن المغيرة.

وقد أفدت هؤلاء الرواة من كتاب «الإسراء والمعراج»، للألباني، فانظره بأكمله.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٥٠)، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا أحمد بن عثمان الأودي، ثنا عبد الرحمن بن شريك، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة وعطاء، عن ابن عباس، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤): «رواه الطبراني، وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط».

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٠-١٩١)، قال: حدثنا محمد بن يحيى أبو عمر الباهلي، ثنا يعقوب، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن شريك، عن جابر بن زيد، عن عطاء بن أبي رباح، عن عكرمة، عن ابن عباس، به. وضعفه الألباني.

وأخرج نحوه ابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (١/ ٦٢)، قال: ثنا أحمد، قال ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان قال: ثنا النضر بن سلمة قال: ثنا حفص بن عمر قال: ثنا موسى قال: سمعته

7 -تابع- 7

الـنوع الثانـي: صحيح غير صريح، وهو ما ورد عنه من تفسير الآية بدنو الله تعالى من نبيه r ، وهذا التفسير رُوي عنه من طريق واحدة، وهي طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

لكن الرواة – عن محمد بن عمرو – وقع بينهم اختلاف في لفظ الحديث:

فرواه ابن جرير الطبري[١]، واللالكائي[٢]، من طريق سعيد بن يحيى الأموي، عن أبيه، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما – في قولـه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ – قال: «دنا ربه منه فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى». قال: «قد رآه النبي r ».

ورواه الترمـذي[٣]، والبيهقي[٤]، من الطريق نفسه، عن ابن عباس، رضي الله عنهما – في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ – قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، قال ابن عباس: «قد رآه النبي r ».

ورواه ابــن أبــي شــيبة[٥]، وابــن أبــي عاصــم[٦]، وابــن خــزيمة[٧]، والآجــري[٨]، والطبرانـي[٩]، والـدارقطني[١٠]، جميعهم مـن طـريق عـبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال:

8

يحدث عن عكرمة، عن ابن عباس، في قولة تعالى: âلاّ دنافتدلىá قال: «نظر محمد إلى ربه في خضرة».

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥١٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥١٥).

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، حديث (٣٢٨٠).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٣٦٠).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٧).

(٦) السنة (١/ ١٩١).

(٧) كتاب التوحيد (٢/ ٤٩٥).

(٨) الشريعة (٣/ ١٥٤١-١٥٤٢).

(٩) المعجم الكبير (١٠/ ٢٩٩).

(١٠) رؤية الله، للدارقطني (١/ ٢٢).

سلمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ قال: «رأى ربه عز وجل».

ورواه ابن خزيمة[١]، وابن حبان[٢]، والدارقطني[٣]، جميعهم من طريق يزيد بن هارون، عـن محمـد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس قال: «قد رأى محمد r ربه». ولم يذكر الآية.

وهـذه الـروايات قـد اتفقـت علـى أن ابـن عباس كان يثبت رؤية النبي r لربه تعالى، واخـتلفت في تنـزيل الآيات على هذا المعنى، والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنَّ ابن عباس، رضي الله عنهما، كان يستدل بمجموع هذه الآيات على إثبات الرؤية، دون تفـسير مـنه لآيـة الدنو، وهذا هو الثابت عنه t ، فإنَّه كان يذهب إلى أنَّ النبي r رأى ربـه لـيلة الإسـراء[٤]، دون تفصيل منه في ذلك[١]، لكن بعض الرواةِ تَصَرَّفَ في النقل،

---

(١) كتاب التوحيد (٢/ ٤٩٠).

(٢) صحيح ابن حبان (١/ ٢٥٣).

(٣) رؤية الله، للدارقطني (١/ ٢٢-٢٣).

(٤) تعددت الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في رؤية النبي r لربه تعالى، ومن هذه الروايات:

١- مـا رواه ابـن أبـي عاصـم في الـسنة (١/ ١٩٢)، وصـحح إسـناده الألبانـي، عن ابن عباس قال: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد r ».

٢- مـا رواه ابـن أبـي عاصم في السنة (١/ ١٩٢)، وصحح إسناده الألباني، عن ابن عباس قال: «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية».

٣- وعـن عكـرمة قـال: «سمعـت ابن عباس رضي الله عنهما – سئل – هل رأى محمد r ربه؟ قال: نعم». أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٤٨١)، حديث (٢٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩٠)، وضعف إسناده الألباني.

٤- وعن الشعبي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «رأى محمد ربه». أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٨٩). وإسناده صحيح.

٥- وعَـنْ عِكْـرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: âوَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّـا فِتْـنَةً لِلنَّاسِá [الإسراء:٦٠] قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ». أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، حديث (٣٨٨٨).

فأوهم أنَّ ابن عباس فَسَّر قولـه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ بدنو الله تعالى من نبيه r .[٢]

يـؤكد ذلك: أنَّ ثمة طرقاً أخرى عن ابن عباس، رُويتْ عنه ولم يأتِ في شيء منها ذِكْرُ آية الدنو، أو تفسيرها، ومن هذه الطرق:

١- عن عكرمة، عن ابن عباس - في قولـه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ - قال ابن عباس: «إنَّ رسول الله r رأى ربه».[٣]

٢- وعـن أبـي العالـية، عـن ابن عباس - في قولـه تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ - قال ابن عباس: «رآه بفؤاده مرتين».[٤]

٣- وعـن عطاء، عن ابن عباس - في قولـه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: «إنَّ النبي r رأى ربه بقلبه».[٥]

٤- وعن يوسف بن مهران، عن ابن عباس - في قولـه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ - قال: «رأى محمد r ربه عز وجل بفؤاده».[٦]

وكمـا تـرى فـإنَّ هذه الروايات صريحة بأنَّ ابن عباس كان يستدل بالآيات على إثبات الـرؤية وحـسب، ولـيس فيها أنه فسر قولـه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ بدنو الله تعالى من نبيه r .

وهـذا الـذي فهمـه ابـن عـباس مـن الآيات - في إثبات رؤية النبي r لربه تعالى - قد خالفته فيه عائشة، وابن مسعود، رضي الله عنهما؛ فعن عائشة، أنها سألت النبي r عن

8

(١) أعني دون تفصيل منه في كيفية الرؤية، لا في نوع الرؤية؛ إذ قد روي عنه في نوع الرؤية: أنه رآه بفؤاده، وروي عنه: أنه رآه بعينيه.

(٢) ذكـر شـيخ الإسـلام ابـن تيمـية أن الـرواة عـن ابن عباس رضي الله عنهما كثيراً ما يقع منهم تحريف وغلط عليه، وينسبون إليه أشياء لم يقل بها. انظر: تفسير آيات أشكلت، لابن تيمية (١/ ٤٦٠).

(٣) أخـرجه ابـن جريـر في تفـسيره (١١/ ٥١٤)، وابـن أبـي عاصـم في السنة (١/ ١٨٩)، وقال الألباني: «إسناده حسن موقوف».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (٢٨٥) - (١٧٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (٢٨٤) - (١٧٦).

(٦) أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (١/ ١٨٨).

قولـه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ فقال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»[١]، وعن ابن مسعود t - في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ - قال: قال رسول الله r : «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ، عَلَيهِ السَّلام، وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»[٢]، وتفسير عائشة، وابن مسعود، أولى من تفسير ابن عباس؛ فإنهما قد صرحا برفع ذلك للنبي r ، بخلاف ابن عباس، فإنه لم يُسندْ شيئاً من ذلك للنبي r ، والمرفوع أولى من الموقوف، والله تعالى أعلم.[٣]

****

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، حديث (١٧٧)، وأخرجه بنحوه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، حديث (٤٨٥٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٦٠)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٩)، وقال: «إسناده جيد وقوي».

(٣) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٣٨)، وتعليق الألباني على أثر ابن عباس في كتاب السنة، لابن أبي عاصم (١/ ١٨٩).